

وتشبهوا...!!!

الوزير/ اللواء عصام أبو حمرة

للمرة الأولى خلال إقامتي أربعة عشر عاماً في فرنسا اشعر بالغيرة من الشعب الفرنسي ومن الشعب الإسباني على ما يتمتعون به من ديمقراطية وحرية في القرار. ففي كلا البلدين استطاع الشعب وبشكل مفاجئ أن ينقلب على حكامه ويقلبهم رأساً على عقب.

أما لماذا وكيف تمت الانتخابات وما سبقها وكيف انتهت وما تبعها فهو مذهل أيضاً، لا بد ولبنان على ما هو عليه من تردي سياسي واقتصادي حتى الإفلاس في ظل وصاية مستعمرة أن يطلع اللبنانيون عليه وهم على أبواب انتخابات بلدية ورئاسية ونيابية. علّ السلطة المسؤولة تتعظ، وعسى أن الناس يقدموا !!!

في إسبانيا قبل ٢٤ ساعة من الانتخابات التي كانت "مسوكرة" لصالح الحكومة ولان رئيسها السيد ازنار حمل مسؤولية تفجيرات ناقلات سكة الحديد للمقاومين الإسبان "الايّتا" مستبقاً نتائج التحقيق، الذي اثبت في اليوم التالي عدم صحة ادعائه وان القاعدة هي التي ارتكبتها. فانقلب الرأي العام ضده فوراً وخسر الانتخابات في اليوم التالي وأزيح من الحكم .

لقد كان قرار الشعب بسرعة الحدث وكان جماعياً وعفويًا متناسباً مع ضخامة وقعه. لقد تتبع الشعب التحقيق ولما عرف من وراء الجريمة لم يقبل التضليل ولم يغفر الخطأ "والكذب". فلصدر الحكم بإقالة مرتكبيه فوراً.

وفي فرنسا لان الحكومة باسم الإصلاح تعرضت لأوضاع المواطن المعيشية دون أن تقف على رأيه في ظرف يهتز فيه الاقتصاد بصورة عامة. ولان الرؤساء وبعض المسؤولين في السلطة من حزب اليمين دافعوا عن رئيس حزبهم منتقدين حكماً صدر عن القضاء بحقه لخطأ مالي ارتكبه. انقلب الشعب على الرئيس والحكومة ونوابها اليمينيين وانتخب معارضيهم اليساريين في كل فرنسا معرباً عن رفضه سياسة الحكم والحكومة.

لقد هب الشعب الفرنسي تلقائياً عند أول فرصة انتخابية في وجه الحكم منتخباً المعارضين له من اليساريين دون أن تظهر في الاعلام بوادر هكذا انقلاب . فأذهلت نتائجها اليساريين أنفسهم وفاجأت اليمينيين. إلا أن من هم في السلطة قبلوا النتائج واعترفوا بهزيمتهم فوراً وقدموا استقالتهم طبعاً دون الطعن بالنتائج أمام المجلس الدستوري.

وعادت بي الذاكرة إلى ماضي لبنان فوجدت انه عندما كان مستقلاً، سيد نفسه، حراً في قراره، بالثورة البيضاء منع الرئيس بشارة الخوري من التجديد واسقط في كسروان كتلة نواب الرئيس

شهاب وهو في اوج رئاسته. فخفت غيرتي وزاد تفاؤلي. فذهبت إلى ما هو أبعد في التحدي متأملاً أن يُقدم شعب بلدي مرة أخرى وقريباً على كسر طوق الاستعمار الشقيق والسلطة الطامعة بحكم الوصاية بقلب الطاولة على اللاعبين بإرادته والمستهترين بحرية قراره، فتأتي نتائج انتخابات البلدية معبرة عن إرادته، محققة لأماله كما فعل الشعب الإسباني وكما فعل الشعب الفرنسي وتكون نتائجها رسالة إلى الأوصياء والموصى عليهم بأن الحرية هي خبز الشعب اللبناني والديمقراطية هي ماؤه فيتشبهوا ويرحلوا .

باريس في ٣٠/٠٣/٢٠٠٤